فعرضت له غزالة في أربعين، وهو في أربعة آلاف، فما لبث أن اختلط عليه الأمر، وخلع قلبه الفزع، وولى هارباً يخلط في قوله، وهو أعرف الناس بمواطن القول. وأرفقهم بأساليب الكلام، ولكنه عُقل قلبه، فعُقِلَ لسانه.

وفي ذلك كتب عمران بن حطان[1] إلى الحجاج، وكان الحجاج قد لجّ في طلبه[2]:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة
ربداء تجفل من صفير الصافر[3]
هلا برزت إلى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر
تركت كتائبه كأمس الدابر

وبلغ من جسارتها، وقوة قلبها، أنها أقسمت لَتُصَلِّينّ في مسجد الكوفة[4] ركعتين، تقرأ في الأولى سورة البقرة، وفي الثانية آل عمران، والكوفة يومئذ معقل الحجاج، ودار إمرته ومجتمع قوّته.

وقد برّت غزالة بقسمها، ودخلت مسجد الكوفة هي وزوجها،

---

(١) عمران بن حطان: السدوسي الشيباني، شاعر وخطيب من أهل البصرة، أدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، طلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه فهرب إلى عمان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأزد، فمات عندهم أباضياً. كان شاعراً مغلقاً مكثراً، له قصيدة يقول في مطلعها:

حتى متى لا نرى عدلاً نعيش به
ولا نرى لدعاة الحق أعواناً؟

(٢) الأغاني الجزء ١٦ صفحة ١٨.

(٣) الربداء: من ربد، اختلط سواده بكدرة فهو أربد.

(٤) الكوفة: مدينة في العراق، أسسها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية قرب الحيرة، اتخذها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مقراً له عام ٦٥٧، وفيها قتل عام ٦٦١، جعلها العباسيون عاصمة عام ٧٤٩، وتقلص ظلها بعد تأسيس بغداد، ويقع بالقرب منها النجف، الأشرف ومشهد علي. انجبت الكوفة علماء ونحويين ومحدثين.